

الأسرار الكنسية السبعة

[١]

سر المعمودية والحياة الجديدة

اسم المؤلف: القمص زكريا بطرس.
الناشر: www.fatherzakaria.com

”أم تجهلون
أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح
اعتمدنا لموته،
فدفنا معه بالمعمودية للموت،
حتى كما أقيم المسيح من الأموات،
بمجد الآب،
هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة
...”
(رو ٦: ٣-٥).

يقول معلمنا سليمان الحكيم: "الحكمة بنت بيتها نحتت أعمدتها السبعة" (أمثال ٩ : ١)

الحكمة: هي رب المجد يسوع، الذي هو حكمة الله كما عبر معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس قائلا "... المسيح قوة الله وحكمة الله" (١كو ١ : ٢٤)

بيت الحكمة: هو الكنيسة، بحسب قول المسيح "بيتي بيت الصلاة يدعى" (مر ١١ : ١٧)
الأعمدة السبعة: هي الأسرار الكنسية التي تقوم عليها الكنيسة.

وهذا الكتيب الذي بين يديك هو عظة من مجموعة عظات عن أسرار الكنيسة السبعة أُلقيت بكنيسة السيدة العذراء والأنبا أبرام ببرايثون بإنجلترا خلال عام ١٩٩٩م، وكان قد سبق أن أُلقيت في كنيسة مارجرس بشبين الكوم في عام ١٩٥٩م، وفي كنيسة السيدة العذراء بطنطا عام ١٩٦٦م وفي كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة عام ١٩٧٥م وفي كنيسة مارجرس بملبورن بأستراليا عام ١٩٩٠م، وها أنذا أقدمها مطبوعة لكل أحد لتعميم الفائدة، ويمكن اقتناء هذه العظات مسجلة صوتيا من مكتبة كنيسة السيدة العذراء والأنبا أبرام ببرايثون بإنجلترا علي العنوان الموضح بعد.

إنني أصلي إلى الله أن يستخدم هذه الكتيبات لمجد اسمه القدوس وبركة لكل النفوس، بصلوات حضرة صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث معلم الجيل. آمين.

المؤلف

أسرار الكنيسة جذورها وأصولها

- ١- الصليب والأسرار.
- ٢- الأسرار وسائط نعمة.
- ٣- الجانب المادي في الأسرار.

جذور وأصول

تمتد جذور الأسرار الكنيسة حتى تصل إلى صليب الرب يسوع المسيح، وقد قنن السيد المسيح ممارسة أسرار النعمة موضحا ذلك في مواضع عديدة من الكتاب المقدس، التي سوف نشير إليها ونحن نتكلم عن النقاط الجوهرية التالية:

- ١- الصليب مصدر النعمة في الأسرار.
- ٢- الأسرار وسائط نعمة.
- ٣- الجانب المادي في الأسرار.

الفصل الأول الصليب مصدر النعمة في الأسرار

الصليب هو مصدر كل نعمة وعطية وبركة إلهية لنا، أي أنه بدون الصليب ما صارت لنا أية بركة أو نعمة، لأنه على الصليب سدد الرب يسوع المسيح الدين الواجب علينا سداً. فالمسيح مات بدلاً منا، وغفر خطايانا، وأرضى عدالة الأب عوضاً عنا، ولما أرضى عدالة الأب صرنا مصالحين مع الله، وحسبنا مستحقين للبركة التي يهبها لنا في المحبوب.

إذن الصليب هو مصدر كل نعمة لنا. ولكن كيف نحصل على هذه النعمة التي صارت لنا بالصليب؟ هل ننالها بمجرد الإيمان فقط؟

الواقع أن الإيمان هام للغاية وهو قاعدة أساسية لنوال البركة الإلهية التي صارت لنا في الصليب. فبدون أن تؤمن أن المسيح مات عني وفداني ومحا أثامي وصالحني مع الأب لا يمكن أن نأخذ أية نعمة أو أية بركة. ولكن بعض الطوائف تقول إن الإيمان وحده كافٍ للخلاص، ظانين أنه عندما تؤمن أن المسيح مات من أجلك وفداك وغفر لك خطاياك انتهى الأمر خلاص، ويقولون آمن فقط فتخلص.

والواقع أنه إذا بحثنا في الكتاب المقدس بتدقيق نجد أنه توجد وسائل ووسائط نعمة عديدة، من خلالها تتدفق البركة علينا، وبدونها لا نحصل على أية نعمة.

ما هي تلك الوسائل التي بواسطتها تسرى هذه النعمة من الصليب إلى قلبي وحياتي؟ هذا يجزنا للحديث عن النقطة التالية وهي:

الفصل الثاني

الأسرار وسائط نعمة

هناك وسائط عديدة من خلالها تسري النعمة إلينا، فالكتاب المقدس يوضح لنا هذه الوسائل، وسنعرض لبعض منها بما فيها الأسرار المقدسة.

١- وسيلة التوبة:

نلاحظ أن الابن الضال في الكورة البعيدة بعد ما ابتدأ يبحث عن الخرنوب ولا يجده قال: كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً (لوقا ١٥ : ١٧) بهذا يتضح أنه كان مؤمناً أن في بيت أبيه يوجد الخير، والبركة، والعز، والشبع، والأكل إلى الفيض "كم من أجير في بيت أبي يفضل عنه الخبز"، ولكن إذا توقف عند هذا الإيمان في الكورة البعيدة فهل كان من الممكن أن ينال الخير والبركة؟ كلا. بل كان لابد له أن يقوم ويرجع إلى أبيه. وكلمة الرجوع هي التوبة، فالرجوع يعنى التوبة. فبرجوع الابن الضال إلى بيت أبيه نال نصيباً في هذه البركة وهذا الخير. إذن التوبة وسيلة لازمه مع الإيمان. هناك وسيلة أخرى لازمه لأخذ البركة وهي الصلاة.

٢- وسيلة الصلاة:

ففي مثل العشار والفريسي اللذين دخلا إلى الهيكل. ابتدأ الفريسي يفتخر بأنه يعمل خيراً وبراً، وأن حياته ممتازة. أما العشار فوقف من بعيد ورفع قلبه بصلاة خافته ووجهه نحو الأرض قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ. فصلّى وطلب من الله فأعطاه الله برأ، إذ خرج مبرراً (لو ١٨ : ١٤) لأن الرب يقول: "اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم" (لو ١١ : ٩). وتلاميذ المسيح عندما لم يطلبوا منه شيئاً قال لهم "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً بإسمي، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً" (يو ١٦ : ٢٤).

من هذا يتضح أنه بدون الطلبة لا يأخذ الإنسان شيئاً. إذن فهناك وسيلة أخرى مع الإيمان ومع التوبة هي الطلبة. هذا وهناك وسيلة ثالثة أيضاً وهي الصوم.

٣- وسيلة الصوم:

لو رجعنا إلى أهل نينوى نجد أنهم لما تابوا قدموا صوماً. فقد صاموا بمناداة يونان. صام الملك وصامت الحيوانات نفسها. قدموا التوبة بصوم، وطلبوا من الرب الغفران. كانوا واثقين من ربنا إنه سوف يرحمهم. إذاً مع الإيمان هناك توبة، وهناك صلاة وهناك أيضاً صوم. معنى هذا أن هناك وسائط ووسائل للنعمة من خلالها تسري النعمة إلينا ليس بالإيمان فقط. فالإيمان شيء أساسي ولكن كما رأينا يلزم أن يكون معه وسائل أخرى. ومن ضمن وسائط النعمة أيضاً الأسرار الكنسية المقدسة.

٤- وسائل الأسرار الكنسية:

أسرار الكنيسة السبعة هي وسائط تسري من خلالها نعمة الصليب والبركات الروحية لحياة المؤمن كما سنرى:

(أ) فمن خلال سر المعمودية تسرى إلينا نعمة التجديد والميلاد الجديد (يو ٣ : ٣-٥، تي ٣ : ٥).

- (ب) ومن خلال سر الميرون تسرى إلينا نعمة حلول الروح القدس فينا (أع: ١٧، ١٩: ٦).
 (ت) ومن خلال سر الاعتراف تسرى إلينا نعمة الغفران (مت: ١٦: ١٥).
 (ث) ومن خلال سر تناول تسرى نعمة حلول المسيح وثباته فينا وثباتنا فيه (يو: ٦: ٣٥ و ٥٥).
 (ج) ومن خلال سر مسحة المرضى تسرى نعمة الشفاء فينا (يع: ٤: ١٤).
 (ح) ومن خلال سر الزيجة تسرى نعمة الاتحاد بين الزوجين ليصير الاثنان جسدا واحدا (١ كو: ٦: ١٦).
 (خ) ومن خلال سر الكهنوت تسرى نعمة تفويض سلطة الخدمة للكاهن ليوصل نعمة الله إلى الآخرين من خلال بقية الأسرار (مت: ٢٨: ١٩ و ٢٠).

الفصل الثالث

الجانب المادي في الأسرار

نأتي إلى نقطه هامة وهي مراعاة الجانب المادي في الأسرار. فالإنسان مكون من ثلاثة عناصر هي (الجسد والنفس والروح). لذلك فإن الله يهتم أيضا بهذه العناصر. إذ أنه هو الذي خلقها، وجلب ترابا من الأرض وصنع منه جسدا ونفخ فيه نسمة حياة (أي نفخ فيه الروح) فصار آدم نفسا حية. واهتمام الله بكل من الجسد والنفس والروح يتضح مما ذكر في رسالة معلمنا بولس الرسول (١ تس: ٥: ٢٣) إذ يقول "ولتحفظ أنفسكم وجسديكم وروحكم كاملة في المسيح يسوع". ففي قول الرسول: الجسد والنفس والروح تحفظ كاملة، يتضح أن الله يهتم بالجسد ويهتم بالنفس ويهتم بالروح. كما أن المسيح في نهاية الأيام يوم مجيئه سيغير هذا الجسد إلى جسد نوراني. لماذا؟ طبعاً لأنه يهتم به. لقد خلق للإنسان جسداً من تراب ولكنه قدّسه وباركه، وأيضاً سيحوّله إلى جسد نوراني مثل جسده الذي قام به من الأموات. أما عن النفس فإن الله سوف يدخلها الفردوس أيضاً مع الروح. إذن الله مهتم بالإنسان ككل. يهتم بجسده، ويهتم بنفسه، ويهتم بروحه.

ولكن ما دخل هذا الكلام في الأسرار؟

أقول لك، حيث أن الله يهتم بالجسد، لذلك أعطانا أن نستخدم المادة في الأسرار. مادة في المعمودية وهي الماء. وفي الميرون نستخدم الزيت. ونستخدم الخبز والخمر كمادة تسرى في جسدنا المادي عندما نتقدم للتناول. وكل هذا ليكون هناك شيء مرئي ومحسوس لنا تسرى من خلاله النعمة غير المرئية وغير المحسوسة. ولذلك فإن تعريف السر هو نوال نعمة غير منظورة تحت مادة منظوره. والمادة المنظورة تتعامل مع الجسد، أما النعمة فتتعامل مع النفس والروح سرا لتعيد للنفس صورتها الأولى وتعيد للروح قوتها الأولى. فإن كانت الأسرار هي نعمة خفية في مادة منظورة، فإن الماء أو الزيت أو الخبز ... هي المادة المنظورة التي تتعامل مع طبيعة الإنسان المادية.

بعض الطوائف التي تنادي بأن الخلاص هو بالإيمان فقط. يقولون: هل مسح التلاميذ في العلية بزيت الميرون عندما صلوا وامتثلوا بالروح؟

وللرد على هذا الكلام، أي معمودية التلاميذ يوم الخمسين من الروح القدس بدون زيت الميرون، نقول أن هناك بركات وأحداث تمت في البداية لا تتكرر بنفس الصورة، مثل صلب السيد المسيح لا يتكرر، ومثل قيامته من الأموات لا تتكرر، هكذا أيضاً يوم الخمسين لا يتكرر، والطريقة التي حل بها الروح القدس على التلاميذ أيضاً لا تتكرر. ولكن الكتاب يوضح الطريقة التي استخدمها الآباء الرسل لإعطاء نعمة الروح القدس للطالبين وهي "وضع اليد" (أع: ١٥). ثم بعد انتشار المسيحية استخدموا المسحة المقدسة أي الميرون "أما أنتم فلکم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء" (١ يو: ٢: ٢٠) وأيضاً "وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذبا. كما علمتكم تثبتون" (١ يو: ٢: ٢٧). لكن الطوائف ألغوا الأسرار، وألغوا أيضاً سر الكهنوت.

يقولون إن النعمة هي إحدى حقوقنا في الصليب، وأن كل ما نطلبه نأخذه بهذا الحق، ولا داعي لأية ممارسات أخرى.

وللرد على ذلك أضرب هذا المثل: المليونير يحتفظ بأمواله في البنك، وعندما يرغب أن يسحب منها شيئا، لابد وأن يحرر شيكا بكل ما يريده من رصيده. هذه هي قوانين البنوك. وإن لم يفعل هذا فلن يستطيع أن يسحب قرشا واحدا من البنك.

هكذا أيضا يا عزيزي بالنسبة للحياة الروحية. نشبه الأسرار المقدسة بشيكات نعمة على بنك الدم موقع عليها بالروح القدس، أي اعتمدها الروح القدس ويصبح بذلك شيكا نافذ العطاء للمؤمنين، يهب نعمة وبركة تحل عليهم على حساب رصيد الصليب.

لأن لك رصيد في بنك الدم في الصليب رصيد نعمة، رصيد بركة، رصيد امتلاء بالروح القدس، رصيد عطية سماوية. أي يكون لك رصيد كثير في الصليب ومعني هذا أن ربنا أعطاك دفتر شيكات خاص هو الأسرار المقدسة.

بناءً عليه يمكنك أن تصرف شيك المعمودية لتأخذ ميلاد جديد، وشيك الميرون ليحل فيك الروح القدس، وشيك الاعتراف لتأخذ الغفران... وهكذا.

رأينا إذن أن الأسرار هي وسائل، نأخذ من خلالها النعمة التي في الصليب. وسوف نناقش بمشيئة الله كل سر على حده. ونوضح جذور وأصول كل سر من الكتاب المقدس فإن الأسرار هي من وضع السيد المسيح نفسه كما سنرى.

كما سوف نناقش أيضا مفاعيل هذه الأسرار في حياتنا، لكي ونحن نمارس السر تكون عيوننا على البركة والنعمة، وليس مجرد ممارسة السر فقط.

سر المعمودية والحياة الجديدة

* أصوله الكتابية

* طقوسه الكنسية

* مفاعيله الروحية

للحديث عن سر المعمودية سنتكلم عن ثلاثة نقاط هي:
١- أصوله الكتابية ٢- طقوسه الكنسية ٣- مفاعيله الروحية

الفصل الأول سر المعمودية وأصوله الكتابية

أولاً: تأسيسه:

سر المعمودية هو من وضع الرب يسوع المسيح نفسه الذي قال: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٨ و ١٩). وفي إنجيل معلمنا مرقس أيضاً: "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن" (مر ١٦: ١٦)

ثانياً: ممارسته في الكنيسة:

مارس الآباء الرسل وآباء الكنيسة من بعدهم سر المعمودية للمتقدمين إلى الإيمان، كما يتضح مما يلي:

[١] **يوم الخمسين:** اعتمد الذين تابوا كما قال معلمنا بطرس الرسول: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا الروح القدس .. فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس" (أع ٢: ٣٨-٤٣)

[٢] **عماد خصي الحبشة:** قام فيلبس بتعميده بعد أن بشره بالمسيح، فقد طلب الخصي بنفسه أن يعتمد إذ قال فيلبس: "هوذا ماء فماداً يمنع أن أعتد ... فنزلاً كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي فعمده." (أع ٨: ٣٦ و ٣٨).

[٣] **عماد كرنيليوس:** ويسجل أعمال الرسل تعميد بطرس الرسول لكيرنيليوس عندما آمن، فيقول: "حينئذ أجاب بطرس أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً وأمر أن يعتمدوا باسم الرب" (أع ١٠: ١-٤٨)

ويلاحظ هنا في هذه الحادثة أهمية المعمودية الماء، فرغم أن الروح القدس قد حل على كرنيليوس وأهل بيته قبل تعميدهم، إلا أن معلمنا بطرس الرسول قد أصر على إتمام المعمودية الماء، فلو لم تكن هذه المعمودية لها أهمية ما كان قد أصر على إتمامها.

ورب سائل يقول: لماذا حل الروح القدس بدون المعمودية الماء؟ أليس هذا دليل على أن الروح القدس يمكن أن يحل على الناس بدون المعمودية الماء؟

نجيب على هذا التساؤل ببساطة شديدة أن القيام بتعميد الأمم كان أمراً غير مسبوق ولم يكن مقبولا من اليهود الذين دخلوا الإيمان. ولهذا سمح الرب بإظهار قبول الأمم بهذه الوسيلة، ولهذا تشجع بطرس الرسول أن يعمدتهم.

ومن أمثلة ممارسة الكنيسة الأولى أيضاً للمعمودية ما ذكر في سفر أعمال الرسل عن:

[٤] **تعميد ليديا بائعة الأرجوان:** في فيلبي عندما قبلت المسيح قام بولس الرسول بتعميدها (أع ١٦: ١٥). وأيضاً:

[٥] **عماد سجان فيلبي:** "فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجراحات وأعتد في الحال هو والذين له أجمعون" (أع ١٦: ٣٣).

ثالثاً: رموز المعمودية:

الواقع أن للمعمودية رموزاً كثيرة نذكر منها:

[١] **مياه الطوفان وفلك نوح:** الذي قال عنه بطرس الرسول: "كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يبني، الذي فيه خلص قليلون أي ثمان أنفس بالماء الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية، لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح" (١بط ٣: ٢٠ و ٢١)

[٢] **البحر الأحمر والسحابة:** فقد قال معلمنا بولس الرسول: "ولست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آبائنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر" (١كو ١٠: ١ و ٢)

[٣] **معمودية يوحنا المعمدان:** "أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني ... هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار" (مت ٣: ١١).

[٤] **المسيح نفسه اعتمد من يوحنا في نهر الأردن:** "حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إليّ. فاجاب يسوع وقال له اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه. وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (مت ٣: ١٣-١٧).

[٥] **معمودية التلاميذ:** تلاميذ السيد المسيح قاموا بتعميد الناس قبل يوم الخمسين. "مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه" (يو ٤: ٢).

هذه كلها تعتبر رموز ومقدمات للمعمودية الحقيقية التي هي بالماء والروح وبإسم الثالوث القدوس.

الفصل الثاني طقوسه الكنسية (أي الترتيبات الطقسية)

هناك بعض الترتيبات الكنسية الخاصة بسر المعمودية منها:

أولاً: مادة السر:

المادة الخاصة بسر المعمودية هي الماء: فلقد استخدم التلاميذ والكنيسة منذ نشأتها عنصر الماء كمادة للمعمودية وإليك بعض البراهين:

[١] قال الرب: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح.... (يو ٣: ٥)

[٢] تعميد خصي الحبشة: "وفيما هما سائران في الطريق أقبل على ماء فقال الخصي هوذا ماء فماذا يمنع أن أعتد" (أع ٨: ٣٦).

[٣] تعميد كرنيليوس: "حينئذ أجاب بطرس أترى أيسطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً" (أع ١٠: ٤٧).
من هذه الأدلة يتضح أن الماء هو العنصر الكلداني المستخدم لإتمام سر المعمودية.

ثانياً: إتمامه بالتغطيس وليس بالرش

يجب أن تتم المعمودية بالتغطيس وليس بالرش، وإليك بعض الأدلة:
[١] المعمودية المسيح: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء" (مت ٣: ١٦).

[٢] تعميد خصي الحبشة: "فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي وعمده ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس... (أع ٨: ٣٩).

[٣] المعمودية دفن: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة... (رو ٦: ٥-٣).

وقوله أيضاً: "مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه" (كو ٢: ١٢).
والدفن لا يتم برش التراب على الميت، بل بوضعه تحت التراب. وحيث أن المعمودية دفن، فلا بد أن يوضع المعمد تحت الماء، أي يغطس في الماء حتى يغطيه.

[٤] المعمودية صبغة: فالمعنى الحرفي للمعمودية باليوناني هو صبغة، والصبغ يتم بتغطيس الثياب في الصبغة وليس بالرش.
من هذا تأكد لنا أن المعمودية لابد أن تتم بالتغطيس وليس بمجرد الرش.

ثالثاً: عدد مرات التغطيس

تتم المعمودية بالتغطيس ثلاث دفعات في الماء كمثال الثالوث، يتضح ذلك من قول رب المجد يسوع لتلاميذه:
"وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩)

رابعاً: عدم إعادة المعمودية:

الذي اعتمد مرة لا يمكن أن يعاد معموديته حتى وإن أنكر المسيح. فعندما يتوب لا تعاد معموديته، بل يكتفى بالاعتراف والتناول. وأسوق لذلك بعض الأدلة:
[١] كان الختان رمز المعمودية، وهو لم يكن يحدث إلا مرة واحدة.

[٢] لأن المعمودية ولادة روحية، فلا يجب أن يولد الإنسان روحياً مرتين، كما هو الحال في الولادة الجسدية.

[٣] لأنها موت ودفن وقيامة مع المسيح وهذه كلها لم تحدث سوى مرة واحدة للمسيح.

[٤] لهذا نقول في قانون الإيمان "نعترف بمعمودية واحدة" من هذا يتضح لنا أن المعمودية لا يمكن إعادتها ثانية.

خامساً: المعمودية الدم في الاستشهاد:

قد يتساءل البعض عن الذين يستشهدون من أجل المسيح قبل أن يعتمدوا، ما هو الحكم بالنسبة لهم؟

وللإجابة نقول: إن الذين يستشهدون قبل أن يعتمدوا، تعتبر الكنيسة استشهادهم المعمودية كاملة لأنهم ماتوا بالفعل على اسم المسيح وصارت دماؤهم المعمودية لهم

سادساً: خدام السر:

لابد أن تتم المعمودية بواسطة كهنة شرعيين، وإليك الأدلة على ذلك:

[١] سلم الرب للرسول دون بقية المؤمنين أن يقوموا بالتعميد "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩)

[٢] وسلم الرسل خلفاءهم الكهنة الشرعيين الذي أقاموهم ليسلموا غيرهم حسب تواصل الأجيال "وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً" (٢ تي ٢: ٢).

[٣] ولهذا قال الرب للرسول مباشرة بعد أن سلمهم سر المعمودية "وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ١٢: ٢٠)

سابعاً: دور المعمدين:

ما هي الأمور التي يجب أن يفعلها من يريد أن يعتمد؟

هناك بعض الأمور اللازمة للمعمودية وهي:

[١] التوبة عن حياة الخطية القديمة: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا" (أع ٣: ٣٨).

ولهذا عليه أن يجحد الشيطان قائلاً أجحدك أيها الشيطان ... (أي أرفضك أيها الشيطان)

[٢] الإيمان بعمل المسيح الكفاري على الصليب أنه مات لأجله شخصياً ليخلصه من عقوبة الموت "من آمن واعتمد خلص" (مر ١٦ : ١٦)، ولهذا يقر بالإيمان قائلاً "أؤمن بإله واحد...."

[٣] الرغبة والتصميم على الحياة مع المسيح وتحت قيادة الروح القدس.

هذه الشروط مطلوبة من البالغين المتقدمين للمعمودية، أما بالنسبة للأطفال فيحل الأثابيين محل المعمدين بخصوص هذه الشروط. على أنه متى بدأوا يدركون يلقنونه هذه التعاليم حتى تصبح هذه هي رغبتهم الشخصية.

ثامناً: دور الأثابيين (أو المرشدين الروحيين):

[١] يجحدون الشيطان، ويعترفون بالإيمان نيابة عن المعمدين الصغار يوم عمادهم.
[٢] يقومون بتعليم الأطفال المعمدين عندما يصلون إلى سن الإدراك، معنى المعمودية، ومعنى الإيمان، وجحد الشيطان، والحياة الروحية الجديدة في المسيح يسوع؛ حتى يكون قبولهم للمسيح قبولاً شخصياً مبنياً على رغبتهم الشخصية وإيمانهم الشخصي.

الفصل الثالث

المفاعيل الروحية للمعمودية

للمعمودية مفاعيل مباركة كثيرة يتمتع بها من يعيش حسب عهد المعمودية أي جحد الشيطان وقبول المسيح، من تلك المفاعيل ما يلي:

أولاً: غفران الخطايا:

(١) هذا ما وضحه معلمنا بطرس الرسول بقوله: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران ٠٠٠ الخطايا..." (٢٤١ : ٣٨)
فبالمعمودية تغفر الخطية الموروثة من آدم وتسمى بالخطية الجدية أو الأصلية، والتي يقول عنها الكتاب "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت" (رو ٥ : ١٢)
والمعمودية تغفر أيضاً الخطايا التي ارتكبها الشخص الكبير قبل أن يقبل سر المعمودية.

ثانياً: التبرير:

(١) "خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح ومخلصنا حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣ : ٥-٧)
والتبرير معناه إعطاء البراءة للمذنب ليس لأنه لم يخطئ، بل لأنه قد اقتدي بدم المسيح، ولسان حاله يقول مع الذي قال في القديم "... وجد عنده مرسل وسيط واحد ... ليعلن للإنسان استقامته، يتراءف عليه ويقول أطلقه عن الهبوط إلى الحفرة، قد وجدت فدية ... فيرد على الإنسان بره، يغني بين الناس فيقول: قد أخطأت وعوجت المستقيم ولم أجاز عليه، فدى نفسي من العبور إلى الحفرة فترى حياتي النور" (أيوب ٣٣ : ٢٣-٢٨)

ثالثا: الخلاص:

(١) [تي ٣: ٥] "خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس"

(٢) [بط ٣: ٢١] "الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح من الله"

(٣) [مر ١٦: ١٦] "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدين"

فالمعمودية تهب المعمد الخلاص من عقوبة الخطية ومن قوتها حتى لا يستعبد لها بل ينال قوة روحية تمكنه من حياة النصر والغلبة في المسيح يسوع.

رابعا: الولادة الثانية:

(١) [يو ٣: ٨-٣] "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله. الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"

(٢) [تي ٣: ٥] "خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" فبالمعمودية يولد الإنسان ولادة جديدة من الماء والروح، فينال طبيعة روحية جديدة، وقلبا جديدا.

خامسا: التجديد:

+ [تي ٣: ٥] "خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" نعم فبالمعمودية يجدد الروح القدس طبيعة الإنسان، فيعطيه طبيعة مقدسة غير فاسدة تستطيع أن تقاوم الشر والخطية.

سادسا: الإغتسال:

(١) [تي ٣: ٥] "خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس"

(٢) [أف ٥: ٢٥-٢٧] "... أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة..." والمقصود بالغسل هو التنظيف من وسخ وقذارة الخطية.

سابعا: التطهير:

(١) [أف ٥: ٢٥-٢٧] "... أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن (تجدد) أو أي شيء من مثل ذلك"

ويقصد بالتطهير هو التنظيف من أدران الخطية وفسادها الداخلي.

ثامنا: التقديس:

(١) [أف ٥: ٢٥-٢٧] "... أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن (تجدد) أو أي شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب"

والتقديس يعني إعطاء الصحة السليمة، فالقداسة في أصل الكلمة اليوناني هي الصحة السليمة الخالية من الأمراض. وليس معنى القداسة أنها العصمة من الخطية، فالإنسان يظل معرض للسقوط في الخطية طيلة أيام حياته على الأرض. تماما كالشخص السليم صحيا، يكون معرضا للإصابة بالأمراض. ولكنه يسعى للشفاء ليستعيد صحته. فما ينطبق على الجسد ينطبق أيضا على الروح.

تاسعا: التبنى:

+ [غل ٣: ٢٦-٢٩] "لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح..."
حيث أن المعمودية تعتبر ميلادا جديدا من الله، إذن فهي تعطي بنوة جديدة أي يصبح المعتمد ابنا لله.

عاشرا: ضمير صالح:

+ [ابط ٣: ٢١] "الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح من الله".
يحصل المعتمد على ضمير نقي مع الطبيعة الجديدة، بمعنى أنه قد أصبح له قيم جديدة هي مبادئ المسيح بحسب الكتاب المقدس، ويصبح ضميره حساس لأي خطأ ضد وصية الله، حيث يبكته روح الله فيسرع بتقديم التوبة.

حادي عشر: لبس المسيح:

+ [غل ٣: ٢٦-٢٩] "لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح..."
ومعنى لبس المسيح هو أن يكتسي الإنسان بشخص المسيح فيغطيه بثوب خلاصه ورداء بره، كما يقول النبي "فرحا أفرح بالرب، تبتهج نفسي بإلهي، لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البر" (أش ٦١: ١٠)

ثاني عشر: الحياة الأبدية:

(١) [تي ٣: ٥-٧] "خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح ومخلصنا حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية"

(٢) [ابط ١: ٣ و ٤] "ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السماوات لأجلكم"

المعمودية تؤهل الإنسان للدخول إلى الحياة الأبدية، كما قال الرب يسوع المسيح "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٥: ٥)

يا لعظمة هذه البركات التي يحصل عليها الإنسان عندما يتقبل سر المعمودية ونعمة الحياة الجديدة في المسيح يسوع.

الفصل الرابع

الاعتراضات والرد عليها

معمودية الأطفال

الاعتراض:

قد يعترض البعض على المعمودية الأطفال قائلين: أن الأطفال لا يدركون قيمة المعمودية، ولا معنى الإيمان. فكيف يسمح لهم أن يعتمدوا؟؟

الإجابة:

نعم تسمح الكنيسة بتعميد الأطفال الصغار رغم عدم إدراكهم، على أساس أن أشابينهم يعلمونهم معنى الإيمان والمعمودية متى كبروا. وليس في هذا غرابة، وأسوق لك الأدلة التالية على صحة معتقد الكنيسة: لنأخذ دليلاً من الختان الذي كان يتم للطفل البالغ ٨ أيام فقط من عمره.

أولاً: الختان:

(١) هو رمز المعمودية:

يقول معلمنا بولس الرسول: "وبه [أي بالمسيح] **ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية** التي فيها أقمتكم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات، وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا **وغلف جسديكم** أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا" (كو ٢: ١١-١٣)

[Living Bible] "When you came to Christ He set you free from your evil desires, **not by a bodily operation of circumcision but by spiritual operation, the baptism of your souls. For in baptism** you see how your old, evil nature died with him and was buried with Him; and then you came up out of death with him into a new life because trusted the word of the mighty God who raised Christ from the dead."

ترجمتها الحرفية:

"عندما أتيتكم إلى المسيح حرركم من شهواتكم الشريرة **ليس بعملية جسدية أي الختان بل بعملية روحية أي معمودية نفوسكم** لأنكم ترون أنه كيف في المعمودية ماتت طبيعتكم القديمة الشريرة معه ودفنت معه، وعندئذ قمتكم من الموت معه لحياة جديدة لأنكم وثقتكم في كلمة الله القوي الذي أقام المسيح من الأموات". من هذا نرى أن الختان كان رمزاً للمعمودية.

(٢) والختان كان ختماً لبر الإيمان:

يقول أيضاً معلمنا بولس الرسول "فأمن إبراهيم بالله فحسب له برا ... وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان" [رو ٤: ١١ و ٣]

(٣) وكان الختان يتم في اليوم الثامن من عمر الطفل: [تك ١٧: ١٢] "ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم ...".

وإني أسأل من يعترض على المعمودية الأطفال بسبب أنهم لا يدركون قيمة المعمودية، كيف سمح للأطفال أن يختنوا في سن الثمانية أيام؟ والختان هو ختم لبر الإيمان. فهل يدركون الإيمان وختم الإيمان في عمر ثمانية أيام؟

فإن كان الأمر كذلك بالنسبة للختان فلا يوجد غرابة بالنسبة للمعمودية أن نعمد الأطفال، حيث أن الختان كان رمزاً للمعمودية!!!
هذا دليل وهناك دليل آخر هو:

ثانياً: قبول المسيح للأطفال:

- (١) فقد دعاهم وباركهم: "دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات" [مت ١٩: ١٤، ١٨: ٣، مت ١٨: ٥، مت ١٨: ١٠، مر ١٠: ١٥ و ١٦، لو ١٨: ١٥-١٧]
- (٢) وأيضاً قدسهم: (أرميا ١: ٥) "قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من البطن قدستك"
- (٣) وملأهم من الروح القدس: (يوحنا المعمدان: لو ١: ١٥) "ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس."

فإن كان المسيح قد قبلهم، وقدسهم، وملأهم بروحه القدس حتى وهم في بطون أمهاتهم! فمن يجرو أن يرفضهم ويرفض تعميدهم؟! وهناك دليل ثالث:

ثالثاً: احتياج الأطفال للولادة الثانية:

- (١) لأنهم مولودون بالخطية الجدية: (مز ٥١: ٥) "لأنني ها أنذا بالإثم حبل بي وبالخطية ولدتني أمي"
- (٢) وحيث أنه لا حياة أبدية بدون ولادة ثانية: كما وضح الرب نفسه بقوله "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥) فكيف يمكن أن يدخل الأطفال ملكوت الله بدون المعمودية؟
- وهناك دليل رابع:

رابعاً: ممارسة الرسل لمعمودية الأطفال:

- (١) بطرس الرسول في يوم الخمسين: يقول: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس لأن الموعد هو لكم ولأولادكم" [أع ٢٤: ١٨]
- (٢) تعميد ليديا بائعة الأرجوان وأهل بيتها: يسجل سفر أعمال الرسل قائلاً: "فلما اعتمدت هي وأهل بيتها...." [أع ١٦: ١٤]
- (٣) عماد بيت استفانوس: يقول معلمنا بولس الرسول "وعمدت أيضاً بيت استفانوس" (أكو ١: ١٦).
- (٤) عماد سجان فيلبي والذين له أجمعون يقول سفر الأعمال "... واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون" [أع ١٦: ٣٣].

خامساً: ممارسة الكنيسة لمعمودية الأطفال:

لقد سارت الكنيسة منذ أقدم العصور على ما تسلمته من الرسل بهذا الخصوص، إذ يقول العلامة أوريجانوس وهو من رجال القرن الثاني الميلادي: "إن الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد عماد الأطفال أيضاً، فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليغتسلوا من الوسخ الجدي (من آدم) بسر المعمودية"

أعتقد أن في هذه البراهين الخمسة الكافية للرد على اعتراض من يناهز بعدم تعميد الأطفال.

الفصل الخامس

التطبيق الروحي

ما من شك أن الذين اعتمدوا في طفولتهم قد حصلوا على بركات هذا السر المقدس. ولكن البعض منهم يتكلمون على ذلك ولا يعيشون الحياة الجديدة، وليست لهم علاقة روحية مع الله كما ينبغي، بل انشغلوا بالعالم، وانجرفوا وراء شهوات الجسد، وانحصروا في محبة الذات، وصاروا عبيدا للشيطان. وأمام هذه الحقيقة المرة ينبغي أن نناقش سؤالين هاميين:

- ١- هل هؤلاء المستببحون ينجون من العقاب الأبدي لأنهم نالوا المعمودية؟!؟
 - ٢- كيف يمكن لمثل هؤلاء أن ينتفعوا ببركات المعمودية التي نالوها في طفولتهم؟
- ***

أولا: هل هؤلاء المستببحون ينجون من العقاب الأبدي لأنهم نالوا المعمودية؟!؟

إجابة على هذا السؤال ينبغي أن نعرف هذه الحقيقة الأساسية التالية بخصوص أسرار الكنيسة عامة:

[أن الأسرار المقدسة هي امتياز والتزام (أي نور ونار)]

فمعلمنا بولس الرسول في صدد حديثه عن أحد هذه الأسرار المقدسة وهو سر التناول يوضح هذه الحقيقة الخطيرة، وهي أن سر التناول الذي هو لمغفرة الخطايا، هو نفسه أيضا للدينونة للذين يتناولونه بدون استحقاق، إذ قال: "أي من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما في جسد الرب ودمه ... لأ، الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١كو ١١: ٢٧-٢٩)

ولعل هذا هو ما كان يعنيه أبائنا البسطاء بقولهم "المناولة نور ونار" وهناك مرد كنا نسمعه في طفولتنا في الكنيسة قبل التناول يقول "... فمن هو طاهر فليقدم، ومن هو غير طاهر فليبتعد لنلا يحترق بنار اللاهوت ويصير مثل يهوذا الاسخريوطي الذي سلم سيده!!"

من هذا يتضح أن السر الذي هو للبركة يمكن أن يجلب الدينونة. وما ينطبق على سر التناول ينطبق بالتبعية على بقية الأسرار، وعلى سر المعمودية بالضرورة.

إذن على الإنسان الذي اعتمد في طفولته أن ينتفع بهذه البركة وهذا الامتياز ويعيش الحياة اللانقة بأولاد الله وإلا عرض نفسه للدينونة. بل أجرؤ وأقول يعرض نفسه للدينونة أعظم. فمديننا كورزين وبيت صيدا اللتان رأتا قوة الرب ولم تنتفعا بها نالتا دينونة أشد إذ قال الرب لهما: "ويل لك يا كورزين وويل لك يا بيت صيدا لأنه لو صنعت في صور وصيذاء القوات المصنوعة فيكما لتأبنا قديما في المسوح والرماد، ولكن أقول لكم أن صور وصيذاء تكون لهما حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لكما" (مت ١١: ٢١ و٢٢)

ونفس هذا الكلام وجهه لمدينة كفرناحوم إذ قال لها: "وأنت يا كفرناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية، لأنه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم، ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لك" (مت ١١: ٢٣ و٢٤)

ثانيا: كيف يستعيد الإنسان بركات المعمودية التي نالها في طفولته؟

هذا هو بيت القصيد، أي أن هذا الموضوع هو أهم ما نريد أن نوضحه حتى نعيش كلنا في بركات سر المعمودية التي تمتعنا بها كنعمة من الله وهبت لنا مجانا بالمسيح يسوع. وللإجابة على هذا السؤال الهام نذكر ما قاله مجمع قرطاجنة برئاسة القديس أوغسطينوس في القرن الرابع، وقد ركز مفتاح الإجابة في هذه العبارة الخالدة:

[التوبة المعمودية ثانية]

أي أن الإنسان الذي سبق واعتمد في طفولته، ثم نسي عهد المعمودية وعاش مثل أهل العالم، ويريد أن يرجع إلى الله ليستعيد بركات المعمودية فما عليه إلا أن يتبع نفس الخطوات التي سبق واتبعها الابن الضال في عودته إلى أحضان أبيه، وهي:

(١) الشعور بالضياح ومرارة حالتك وأنت بعيد عن الله:

كما قال الابن الضال "أنا هنا أهلك جوعاً" (لو ١٥ : ١٧)

(٢) التيقن من أن الذين يعيشون مع الله هم في أحسن حال من حياتك هذه:

هذا ما تذكره الابن الضال إذ قال "كم من أجبر لأبي يفضل عنه الخبز" (لو ١٥ : ١٧)

(٣) الرغبة القلبية الشديدة للعودة إلى الله:

تماماً مثلما قال الابن الضال "أقوم وأذهب إلى أبي" (لو ١٥ : ١٨)

(٤) التصميم على الاعتراف بالخطية دون خوف:

هذا ما عزم عليه الابن الضال بقوله "أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك" (لو ١٥ : ١٨)

(٥) الشعور بعدم الاستحقاق:

هذا ما عبر عنه الابن الضال بقوله "ولست بعد مستحقاً أن أدعى لك ابناً" (لو ١٥ : ١٦)

(٦) اتخاذ الخطوات العملية فوراً دون تأجيل:

مثلما فعل الابن الضال إذ تقول القصة "فقام وجاء إلى أبيه" (لو ١٥ : ٢٠)

(٧) الثقة في قبول الرب لك:

فقد كا الابن الضال متيقناً من محبة أبيه وأنه سيقبله ويفرح بعودته، وهذا ما حدث فعلاً، إذ يقول الكتاب "وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله ... فقال الأب لعبيده إني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد. فابتدأوا يفرحون" (لو ١٥ : ٢٠-٢٤).

ليتك يا عزيزي القارئ تضع هذا الكتاب الآن، وترفع قلبك إلى الرب معبراً له عن عودتك إلى أحضانه الحانية، ستجده في انتظارك مستعداً لقبولك. ستفرح السماء بك، ويفرح قلبك بالعودة إلى بيت أبيك.

الخاتمة

عزيزي القارئ وقد أتينا إلى ختام الكلام عن سر المعمودية، أود أن أعود وأذكرك بأهم المواضيع التي بحثناها سويا خلال هذا الكتاب:

١- أن أسرار الكنيسة قد أسسها رب المجد نفسه لتكون وسائط عملية لتتساب من خلالها نعمة الله الغنية المذخرة لنا في صليب ربنا يسوع المسيح.

٢- وأن سر المعمودية هو الوسيلة الفعالة التي من خلالها توهب للإنسان نعمة الحياة الجديدة في المسيح يسوع.

٣- وأنه بالرغم من قبولنا لبركات المعمودية منذ الطفولية، فنحن في حاجة شديدة أن نتمتع بتلك البركات عندما ندعو المسيح ليملك على حياتنا، ويقيم في قلوبنا، لنحيا معه، ونحيا له، ونسعى لتمجيد اسمه العظيم القدوس.

كن معافى، وصل من أجل، الرب معك. آمين.